السنة السادسة والستون وثلاث مئة

فيها في المحرَّم تُوفِّي رُكنُ الدولة أبو علي الحسن بن بُوَيْه [والدُ عَضُد الدولة]، ومرض أبو طاهر بن بَقيَّة مرضاً أشرف منه على الموت، ثم عوفي، فلو أراد الله به خيراً لقبضه قبل المُثْلَة.

وأظهر عضد الدولة ما كان يُخفيه في قصد بغداد، وعلم عزُّ الدولة، فكاتب فخرَ الدولة بن بُوَيه، وأبا دُلَف سَهْلان، وأبا الفوارس صاحب الخيل، وصاحب البَطيحة، وأبا تَغْلب على أن يكونوا معه، ويساعدونه على عضد الدولة، وكلُّ ذلك بتدبير ابن بقية.

وفيها في ربيع الآخر قُبض على ذي الكِفايتين أبي الفتح علي بن محمد بن العميد بالرَّيِّ، وكان قد تَبسَّط التَّبَسُّطَ الشديد في أيام رُكن الدولة، واستمال الدَّيْلَم إلى نفسه، وكان في نفس عضد الدولة عليه؛ لأنه هو الذي بعثه إلى ركن الدولة بتلك الرسالة في كون عزِّ الدولة لا يَصلح للعراق، وعاد برسالة ركن الدولة ينهاه عن عزّ الدولة، فاتَّهمه في الأمر، وقَوَّى تُهَمَتَه أن عضد الدولة لما فارق بغداد إلى شِيراز أقام ابنُ العميد بها، فأعطاه عز الدولة من الأموال والخِلَع السُّلطانية وغيرها شيئاً كثيراً، فكان عَضُد الدولة يقول لما خرج من بغداد: خرجتُ من بغداد وأنا زريق الشارب، وخرج ابن العميد وهو ذو الكفايتين أبو الفتح[1].

واتَّفق أن الصَّاحب إسماعيل بن عباد كان قريباً من مؤيَّد الدولة بن ركن الدولة، فباعده ابنُ العميد، ووضع الدَّيلم على أن يطالبوا مؤيد الدولة بإبعاده عنه ـ وكان كاتِبَه ـ فأبعده إلى أصفهان، وكان ابن العميد إذا ركب إلى دار مؤيَّد الدولة مشى جميعُ الناس والدَّيلمُ بين يديه ومن خلفه، فإذا انصرف انصرفَ الكلُّ معه.

واتَّفق أيضاً أنه زايد عَضُدَ الدولة في جاريةٍ كان عضد الدولة يميل إليها، فاشتراها بثمن زائد، فكاتب عضد الدولة مؤيَّدَ الدولة بالقبض عليه، فقبض عليه، وأعاد الصَّاحبَ أبا القاسم بن عَبَّاد إلى وزارته إلى حين وفاته، وقتل ابن العميد بعد ذلك.

---

(١) انظر تكملة تاريخ الطبري ٤٥٠.

وفي جمادى الأولى نُقلت بنت عز الدولة إلى الطائع.

وشَرَع عضد الدولة في الاستعداد لنزول العراق، والتأهُّبِ لقتال عز الدولة، وكاشفه عز الدولة، وقطع خُطبته، وجاهر ابنُ بقية عضدَ الدولة بالعَداوة، ونال منه بلسانه في مجالسه، وكتب كتاباً عن الخليفة مَضمونه: أن الاتِّفاق وقع من ركن الدولة على قسمة البلاد بين أولاده، وأن لا يتعرَّض لعز الدولة ببغداد، وأن الخليفة لا يرضى بغير ذلك.

وجمع ابن بقية القُضاة والشُّهود والأعيان والحُجَّاج الخُراسانية، وأحضرهم إلى الطَّائع، وأشهدهم عليه بذلك.

وكتب الطائع على رأس الكتاب: المُلكُ لله وحده، وكتب القُضاة والأشراف خطوطَهم فيه بالشَّهادة على الخليفة، وأمر ابنُ بقية أبا إسحاق بن هِلال الصابئ أن يكتب كتاباً إلى عضد الدولة عن الخليفة، فكتب كتاباً طويلاً منه:

من عبد الله عبد الكريم الطائع لله أمير المؤمنين إلى عَضُد الدولة أبي شُجاع بن ركن الدولة أبي علي مولى أمير المؤمنين، سلامٌ عليك، أما بعد؛ فإن من سُنن العَدْلِ التي يؤثر أميرُ المؤمنين أن يُحييها، وآداب الله التي يَرى أن يأخُذَ بها ويَقْتَفيها: إقامةَ المُحسن بإحسانه، والإيفاءَ به على أقرانِه، والمجازاةَ له عن راشِدِ مَساعيه وصائب مَراميه؛ ليكون قضاءً لما أسلف وقدَّم، وكِفاءً لما أكَّد وأَلْزم، وقد علمتَ وعلم غيرُك بعيانِ ما أدركتْه الأعمار، وسماعِ ما نقلتْه الأخبار؛ أن الدولةَ العباسية لم تزلْ تَعْتَلُّ طَوراً وتَصحُّ أطواراً، وتَلْتاثُ[1] مَرَّةً وتَستقلُّ مِراراً، من حيث أن أصلَها راسِخٌ لا يَتَزَعْزَع، وبُنيانَها ثابتٌ لا يَتَضَعْضَع... إلى أن قال: وأن المُطيع أبقى الأمرَ على عز الدولة، فليس لأحدٍ أن يُنازعه فيه، وذكر ابنَ بقية وقال: هو نصيرُ الدولةِ النَّاصحُ، وأثنى عليه ثناءً عظيماً، واستوفى شروطاً كثيرة، وأشار في الكتاب إلى مُباينة عضدِ الدولة وقتاله.

وكان هذا الكتاب سبباً لنِقْمة عضد الدولة على إبراهيم الصابئ، ونَكبه لأجله، ولما قال: أُكْرِهتُ قال: مَن أكرهك على تجويده واستيفائه واستقصائه.

---

(١) تضعف.

قال المصنف رحمه الله: وقد نكب الطَّائعُ أبا إسحاق الصابئ قبل هذا بسبب الكتاب الذي كتبه إلى الطائع، وقد تقدَّم ذِكره.

وسار عزُّ الدولة وابنُ بقية من بغداد إلى المَشْهَدَيْن فزارا، ودخلا واسِطاً في جُمادى الآخرة.

وصاهر عزُّ الدولة عمرانَ بن شاهين، فزوَّجه عمران ابنتَه، وتزوج الحسن بن عمران بنتَ عز الدولة. وبعث ابن بقية إلى بغداد، فأتلف جماعةً من الكُتَّاب، منهم سهل بن بشر، وإبراهيم بن السرَّاج وغيرهما.

وكتب عز الدولة إلى الطائع يأمره بالانحدار إلى واسِط، فانحدر في شعبان ومعه القاضي ابن معروف والأشراف، وسار عز الدولة وابن بقية إلى الأهواز برأي ابن بقية، وما كان عز الدولة يُريد أن يَخرجَ من واسِط، وتبعهم الطائع والعساكر.

وورد الخبر بوصول عضد الدولة إلى أَرَّجان، فانزعج عز الدولة وابن بقية، وأمر الطَّائعَ أن يَكتب إلى عضد الدولة كتاباً يتضمَّنُ إصلاحَ ذات البَيْن، وكان ذلك خديعةً منه ليجمع لهما عساكر المعاهدين، فكتب إليه الطائع:

أما بعد، فإن أمير المؤمنين إذا احتاج في استِصْلاحِ وليٍّ من أوليائه، وصَفيٍّ من أصفيائه؛ وَجد مَن يَستغني عن ذلك بالوَثيقِ من دينك، والصَّحيح من يَقينك، والوافر من حَزْمِك، والرَّاجح من حِلْمك، إذ كنتَ ترجع إلى مَنْشأ كريم، وعَرْفِ مَحْتِدٍ قديم[1]، وأمير المؤمنين ينظر في الجانبين، ويرى إصلاحَ ذات البَيْن، وقد أمر الله بالأُلْفَة، ونهى عن الفُرْقَة، ولم يزل أمير المؤمنين منذ نَزَغَ الشيطان بينكما مَغْضوضَ الجُفونِ على قَذى، مُنْطَوي الجوارحِ على أذى، وقد أمن أن تنتقضَ نِعم الله بينكما، أو ينافس بقدح في نفاستكما، وبقاطع يعترض ذات بينكما، وأنت أولى مَن هُدي إلى أرشدِ طريقة وأحسن خَليقة، فتأمَّلْ كلام أمير المؤمنين، واحْقِنِ الدّماء، وسَكِّن الدَّهْماء، وأطعِ الإمام، وصِلِ الرَّحِم، ومتى خالفتَ كُنتَ بخلاف ما ذكَرْنا من المساعي الصَّالحة؛ التي تَرفعُ قَدْرَك، وتَنْشُرُ ذِكْرَك.

(١) العرف بفتح العين: الرائحة الطيبة، وبضمها: الجود، والمحتد: الأصل.

وبعث بالكتاب مع خادمٍ من خَدَمه، فلما قرأه قال للخادم: الجوابُ يكون مُشافهةً لأمير المؤمنين.

ولما أشرفت الحالُ على الحرب ردَّ عزُّ الدولة الطائعَ إلى بغداد، ونزل عضد الدولة برامَهُرْمُز، ونزل عز الدولة عند قَنْطَرة أرْبَق وقطعها بينهما، فعمل عضد الدولة سُفناً، وعبر عليها هو وعسكرُه.

فلما كان يوم الأحد لإحدى عشرة ليلةً خلت من ذي القَعدة التقى الفريقان، فاستأمن إلى عضد الدولة مُعظَمُ خواص عز الدولة وأعيانُ عسكره، فانهزم هو وابن بقية وعمدة الدولة إلى ناحية البصرة، وعبروا دُجَيل الأهواز، وألقى عز الدولة سلاحَه عن نفسه، وتلثَّم لئلا يُعرَف، وجُرح فرسُه، وعاين التَّلَف، ولَحِقه ابن بقية، وعُمدة الدولة، وحَمدان بن أبي تغلب، واجتمعوا في مَطارا، ونُهِبت الخزائنُ والأموال، وشيءٌ لا يُحصيه إلا الله تعالى[1].

ثم وَردوا قريباً من البَطائح على حالٍ سَيِّئة، وبعث إليهم عمران بن شاهين زَواريقُ فيها طعامٌ وثيابٌ وسِلاح، ونزلوا في الماء واخترقوا البطائح، فتلقَّاهم عمران في عسكره، وقبَّل يد عز الدولة، وأنزله، وأكرمه، وأقاموا عنده ثلاثة أيام، وصحَّ قولُ عمران لما راسلَ عز الدولة وقال: إنك ستحتاج إليَّ، وتحصل في يَدي، ثم ساروا إلى واسِط.

وفيها تَنكَّر عز الدولة على أبي طاهر بن بقية لما وصل إلى واسط، وقال: كنتُ على عَزْم المُقام بواسط، ومالي مَحروز، وعَسكري بحاله، أشرتَ عليَّ أن أَمضيَ إلى الأهواز حتى جَرى ما جَرى، أنت أخرجْتَني من نعمتي، وضَيَّعتَ أموالي، وشَتَّتَّ عساكري، فقال له ابن بقية: قد يجري على الملوك ما هو أعظم من هذا، وعليَّ أن أَلُمَّ شَعَثَك، وأُصلحَ أحوالَك، ورجع إليه كثيرٌ من الدَّيْلَم والأتراك، واستَجدَّ خِيَماً وسلاحاً، وانضاف إليه مَن كان بالبصرة وبغداد، وكان لابن بقية بواسِط ذَخيرةٌ، فرجع إليها، وأطلق، وخَلَع على الجُنْد.

(١) انظر تكملة تاريخ الطبري ٤٥٤.

وجاءت كتب أبي تَغْلب إلى عزّ الدولة بما يُطَيِّب قلبَه، وضرب الله عز الدولة بِبَلْوى كان فيها أعظم الفَضيحةِ له؛ وذلك لأنه أُسِر بالأهواز في الوَقْعة غلامٌ له تركيّ يقال له: باتكين، لم يكن قبل بأَحْظى غِلمانه عنده، ولا بأقربهم منه[1]، فجُنَّ عليه جُنوناً عظيماً، وحَزِن لفَقْده حُزناً شديداً، وتسلَّى عن كلِّ شيءٍ خرج عن يده إلا عنه، وحَدث له من الوَجْدِ به ما أزاله عن تماسُكه، فاطَّرح القَرار والهدف[2]، وامتنع من الطعام والشّراب، وانقطع إلى البكاء، واحتجب عن الناس، وكان إذا وصل إليه وزيرُه أو خواصُّه أخذ في الشَّكوى، وقَطَعهم عما جاؤوا فيه، فاستَعْجزَ الجُندُ رأْيَه واطَّرحوه، وقالوا لابن بقية: دَبِّر أنت الأمور، ودع هذا ونحن معك، فاستهان بعز الدولة واطَّرحه.

وحمل عز الدولة ما كان في نفسه من الغلام على أن كاتب عضد الدولة قبل أن تَضعَ الحربُ أوْزارَها، وتَستقرَّ الأمورُ قرارَها، يسأَلُه ردَّ الغلام عليه، وكتب إلى خواصِّه المُطْبِقين به يسأَلُهم مَعونَتَه على ما رَغِب إليه، فافتُضح بين الناس، وعاتبه الأقاربُ والأباعد فما ارعوى، وبعث الشّريفَ أبا أحمد الحسين بن موسى رسولاً في هذا الأمر، وبذل في فِديةِ الغلام جاريتين عَوَّادَتَين[3] مُحَبَّبتين كانتا نَشأتا عنده،لم يكن ببغداد أبْرَع منهما، ولا أحْذَق بالصّناعة ـ وكان أبو تَغْلب قد بَذَل له فيهما مئتي ألف درهم، فأبى أن يَبيعهما ـ وقال للشريف: لا تتوقَّف في زيادة، ولا تفكِّر في شيء؛ فقد رضيتُ أن آخُذَ الغلام وأمضي إلى أقصى الأرض.

فجاء الشريف إلى عضد الدولة، وأدَّى الرسالة، وكان الغلام قد اختلط مع الغلمان في يوم الوَقْعة، وبعث به عضد الدولة إلى شيراز إلى ولده أبي الفوارس، فلما علم عضد الدولة بغَرام عز الدولة بالغلام كتب إلى ولده يأمره برَدِّه وإعطاءه للشريف، وأخذ عَضُد الدولة الجاريتين.

---

(١) انظر تكملة الطبري ٤٥٥، والمنتظم ١٤/ ٢٤٧، والكامل ٨/ ٦٧٣، وتاريخ الإسلام ٨/ ١٨٧، والنجوم الزاهرة ٤/ ١٢٦.

(٢) كذا، وفي الكامل: وامتنع من لذاته والاهتمام بما رفع إليه من زوال ملكه وذهاب نفسه.

(٣) تضربان على العود.

قال: وأعطاني عز الدولة عِقْداً من اللؤلؤ، ما رأيتُ أكبرَ ولا أحسنَ، وقال: إن قَنَع بالجاريتين وإلا فادفع له العِقْد، فلما رضي بالجاريتين لم أذْكُر له العِقْد، ورَدَدْتُه إلى عز الدولة فأوهبني إياه، ثم عَلِم به عضد الدولة بعد ذلك، فكان سبباً لنِقْمَته عليَّ، وواقفني عليه.

فقلت: إن بختيار أعطاني إياه، فلما قَنِعْتَ بالمحمول إليك لم يَحْسُن بي أن أخونَه فيما جعلني فيه أميناً.

وحَمَّل عضد الدولة للشريف رسالة إلى عز الدولة، وأمره أن يؤدِّيَها على خَلْوةٍ من ابن بقية، وضم إليه بَهرام بنَ أرْدشير.

فلما عاد الشريف إلى عز الدولة، وأدَّى إليه الرسالة، ولم يَحْضُرها ابن بقية، فاستوحش ابن بقية من عز الدولة، وقَدَّر أن عضد الدولة أمر بالقبض عليه وتسليمه عوضاً عن الغلام، وأن عز الدولة يفعل ذلك لعِظَم ما عنده من الغلام، فهمَّ بالعِصيان ـ وكان بالجانب الغربيِّ من واسط، وعنده الأموال والرجال ـ وعلم عزُّ الدولة فتلافاه وقال: أنت الوزير والمدبِّر، والرأيُ لك، فتوقَّف إلى أن تمَّ له القبضُ عليه.

وعاد الشريف إلى البصرة ينتظر مجيء الغلام، وأشار إبراهيم الحاجب على عز الدولة بأن يُقيم بواسط ويتماسك، ووبَّخه على قَبْضِه الغلام، وقال له: اصْدِفْ عنه، وكان الغلام قد وصل إلى البصرة، فكتب عضد الدولة إلى الشريف يقول: لا تَرْحَلْ بالغلام إلى عز الدولة حتى يَرْحَلَ عن واسط، ويُخلِّي بين نُوَّابنا وبينها، فشقَّ ذلك على عز الدولة، وكاتب الشريف بسببه، فلم يُذْعِن عضد الدولة بتسليم الغلام حتى يَرحل عز الدولة عن واسِط، فحَمله ما في قلبه من الغلام على أن رحل عنها، فدخل بغداد في صَفر سنة سبع وستين، فكان الغلام سبباً لفَضيحة عز الدولة، وسُقوطِ حُرْمَته، وزوالِ مُلْكه، وقدم الشريف بالغلام.

وكان بين إبراهيم بن إسماعيل حاجب عز الدولة وبين أبي طاهر بن بقية تباعُدٌ وتنافُر، وكان عز الدولة قد استخلفه ببغداد لما خرج لقتال عضد الدولة، فلما عاد إلى واسط استدعاه إليه، وشكا ابنَ بقية، فأمره بالقبض عليه، فقال عز الدولة: أخاف من الجيش، فشَجَّعه إبراهيم وقال: أنا أُرضي الجيشَ بماله.

فلما كان يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلةً بقيت من ذي الحجة عبر أبو طاهر في زَبْزَبه على العادة إلى عز الدولة، فلما حصل عنده قبض عليه وعلى أمواله وأسبابه، فكانت وزارتُه أربعَ سنين وأحد عشر يوماً، وشَغَب الجندُ، فعزم عز الدولة على قتل ابن بقيه، وكان ذلك قبل وصول الغلام إليه[1].

وفيها وردت جَميلة بنت ناصر الدولة تُريد الحج ومعها أخواها إبراهيم وهبة الله، وأخذت معها مالاً عظيماً لتُفرّقه على أهل الحَرَمين، وتُنفقَه في طريق مكة، فجرى بين أصحابها وبين الحاجِّ الخُراسانية قتالٌ على الماء، فأصاب أخاها هبةَ الله سَهمٌ عائرٌ فقتله، فدفنَتْه بالمدينة، ثم نقلتْه بسوء رأيها إلى الموصل عند عودها من الحج[2]، وضُرب المثل بحجتها، وكان معها أربع مئة مَحْمِل على لونٍ واحد، ولم يُعلَم في أيِّها كانت، ونَثَرت على الكعبة لمَّا شاهدتها عشرة آلاف دينار من ضَرْب أبيها، وكَسَت المُجاورين بالحَرَمَين، وأنفقت فيهم الأموالَ الجليلة، وتصدَّقَت بدم أخيها هبة الله [، وذلك من دينها وزُهدها].

وفيها خُلع على أبي الفتح أحمد بن عمر بن يحيى العَلويّ، وقُلِّد الحج، وحجَّ بالناس أحمد بن أبي الحسين العلوي، وخطب للعزيز بمكة والمدينة ولم يخطب للطائع.

وفيها توفي

إسماعيل بن نُجَيْد

ابن أحمد بن يوسف بن سالم، أبو عمرو السُّلَميّ.

كان من كبار المشايخ، له قَدمُ صِدق وحكايات مشهورة.

قال أبو سعيد بن أبي بكر بن أبي عثمان: كان جدّي قد طلب على رؤوس الناس شيئاً لبعض الثُّغور، فتأخَّر عنه، فضاق به ذَرْعاً وبكى، فجاءه أبو عمرو بن نُجيد بعد العَتَمة ومعه كيس فيه ألفا درهم، فقال له: اجعل هذا في الوجه الذي تأخَّر، ففرح أبو عثمان، ودعا له، فلما جلس قال: قد رجوتُ لأبي عمرو بما فعل، فإنه قد ناب عن

(١) من قوله أول السنة: ومرض أبو طاهر بن بقية... إلى هنا ليس في (ف م م١).

(٢) في (ف م م١): ثم نقلته إلى الموصل عند عودها من الحج وهذا من سوء رأيها.

الجماعة في ذلك الأمر، وحمل كذا وكذا، فقام أبو عمرو على رؤوس الناس وقال: يا أبا عثمان، إنما حملتُ إليك ذلك المال من مال أبي، فينبغي أن تَرُدَّ عليَّ المال لأرُدَّه إليه، فأمر بردِّ الكيس إليه على رؤوس الناس، فلما كان وقت العتمة جاء إلى أبي عثمان ومعه الكيس، فقال: يمكن أن تَصرِف هذا في ذلك الوجه ولا يعلم به غيرُنا، ثم رمى بالكيس وقام، فبكى أبو عثمان، وكان يقول بعد ذلك: مَن مثلُ هِمَّة أبي عمرو.

وقال أبو عمرو: مَن كَرُمَت عليه نفسُه هان عليه دينُه، ومن لم تهذبه مروءتُه[1] فاعلم أنه غيرُ مُهَذَّب.

وقال: إذا أراد الله بعبدٍ خيراً رزقه خدمةَ الصَّالحين، ووفَّقه لقَبول ما يُشيرون به عليه، وسَهَّل له سُبُلَ الخيرات وحجَبه عن رؤيتها.

وقال: إنما تتولَّد الدَّعاوى من فَساد البدايات، فمَن صَحَّت بدايتُه صحَّت نهايتُه، وقرأ قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ﴾ الآية [١٠٩: التوبة].

وقال: من سَهُل عليه إسقاطُ جاهه عند الخلْق سَهَّل الله عليه الإعراضَ عن الدنيا وأهلها.

وقال: مَن استقام لا يَتعوَّج به أحدٌ، ومن اعْوَجَّ لا يستقيم به أحد.

واجتمع مع جماعةٍ فيهم النَّصراباذي، فقال للقوَّال: قل شيئاً فهو خيرٌ لنا من أن نغتابَ أحداً، فقال له أبو عمرو بن نُجَيد: لأن تغتاب ثلاثين سنة أنجى لك من أن تُظهِرَ في السَّماع ما لستَ به[2].

ركن الدولة الحسن بن بُوَيْه أبو علي

كان عاقلاً، شُجاعاً، نَبيلاً، لم يدخل مع الخلفاء في شيء، ولم يَطمع في غير ما في يده، وكان يُراعي وصيَّةَ أخوَيْه في أولادهم، ويَحفظ عُهودَهم في أصحابهم

(١) في المصادر: من لم تهذبك رؤيته.

(٢) طبقات الصوفية ٤٥٤، ومناقب الأبرار ٢/ ١٧١، والمنتظم ١٤/ ٢٤٨، والسير ١٦/ ١٤٦، وتاريخ الإسلام ٨/ ٢٣٧ (وفيات سنة ٣٦٥ هـ).

وخواصِّهم، وكان عظيماً عند الملوك والخلفاء، بمنزلة وزير الوزراء، يَرجعون إلى رأيه وحُسنِ تدبيره.

وكان عادلاً، مُنْصِفاً، مَحبوباً إلى الناس.

ذكر وفاته:

أصابه قُولَنْج شديد، فمات ليلة السبت ثامن عشرين المحرَّم، وقيل: ثامن عشرة، فكانت إمارته أربعاً وأربعين سنة وشهراً وتسعة أيام، وعمره ثمان وسبعون سنة.

وكانت وفاتُه بالرَّيِّ، وكان ولدُه مؤيَّد الدولة بأصبهان، فجاء إلى الرّيّ، فدخلها يوم السبت لخمسٍ بقينَ من المحرم، وورد الخبر إلى بغداد يوم الجمعة ثامن صفر، فكتمه ابن بقية؛ لأنه كان قد استعدَّ لدعوةٍ عَملها لعز الدولة، فلما كان من غد يوم الدعوة أظهر ذلك، وجلس عز الدولة في العزاء والدولة ثلاثة أيام[1].

الحسن بن أحمد

ابن أبي سعيد الحسن بن بَهْرام، أبو علي، وقيل: أبو محمد، القِرْمِطيّ، الجَنَّابيّ.

ولد بالأحْساء في رمضان سنة ثمان وسبعين ومئتين، وغلب على الشام سنة تسع وخمسين وثلاث مئة في رمضان، وقتل جعفرَ بن فَلاح، واستخلف على دمشق ظالم بن مَوهوب العُقيليّ، ثم عاد إلى الأحساء.

وفي سنة اثنتين وستين وثلاث مئة توجَّه إلى مصر، ونزل بمَشْتول الطَّواحين، وكان المعز يُصافيه لما كان بالمغرب ويُهاديه، فلما وصل إلى مصر قطع ذلك عنه، فوافى القِرمطيُّ بغداد، وسأل المطيعَ على لسان عز الدولة أن يُمِدَّه بمالٍ ورجال، ويولّيه الشام ومصر ليُخْرِجَ المعزَّ منها، فامتنع المطيع وقال: كلهم قرامطة على دين واحد، أما المصريون فأماتوا السُّنَن، وقتلوا العلماء، وأما هؤلاء فقتلوا الحاجّ، وقلعوا الحَجَر الأسود، وفعلوا وفعلوا، فقال عز الدولة للقرمطي: اذهب فافعل ما تراه، وذكروا أنه أعطاه سلاحاً ومالاً، فسار إلى الشام ومعه أعلام سُود، وأظهر أن المطيع ولّاه، وعلى الأعلام اسم المطيع، وتحته مكتوب: السَّادة الرَّاجِعين إلى الحقّ، ومَلَكَ

(١) المنتظم ١٤/ ٢٤٩، والكامل ٨/ ٦٧٠، والسير ١٦/ ٢٠٣، وتاريخ الإسلام ٨/ ٢٥٤.

الشام، ولَعن المعزَّ على منبر دمشق وأباه، وقال: هؤلاء من وَلَدِ القَدَّاح، كذَّابون مُمَخْرِقون أعداء الإسلام، ونحن أعلم بهم، ومن عندنا ظهر القَدَّاح.

ثم أقام الدعوة لبني العباس، وسار إلى مصر، وحصر المعزَّ في القاهرة، فأرضاه بمال، فرجع إلى الأحساء، ثم عاد إلى الشام، فنزل الرَّمْلَة فمات بها في رجب وهو يُظهر طاعةَ عبد الكريم الطائع، وجدُّه أبو سعيد الجَنَّابيّ أول القرامطة، وقد ذكرناه.

وكان أبو علي الحسن صاحب هذه الترجمة شاعراً فصيحاً، قال الحسين بن عثمان الخِرقيّ الحَنبلي: كنتُ بالرملة سنة ست وستين وثلاث مئة، فوردها أبو علي الحسن القِرمطيّ القصير الثياب ـ ويُلقَّب بالأَعْصَم ـ فاستدعاني، فحضرتُ عنده ليلةً، وأحضر الفَرَّاشون الشُّموع، فقال لكاتبه أبي نَصْر بن كُشاجِم: يا أبا نَصْر، ما يَحضُرك من صفةِ هذه الشُّموع؟ فقال: إنما يَحضر العبدُ مجلسَ الأمير ليَستفيدَ منه، فقال القرمطي بديهاً: [من المتقارب]

ومَجْدولَةٍ مثلِ صَدْرِ القَناةِ ... تَعرَّتْ وباطنُها مُكتسي
لها مُقْلَةٌ هي رُوحٌ لها ... وتاجٌ على هَيئةِ البُرْنُسِ
إذا غازَلَتْها الصَّبا حَرَّكَتْ ... لِساناً من الذَّهبِ الأَمْلَسِ
وإن رَنَّقَتْ لِنُعاسٍ عَرا ... وقُطَّت من الرأسِ لم تَنْعَسِ
وتُنْتِجُ في وقتِ تَلْقِيحِها ... ضِياءً يُجَلِّي الدُّجى الجِنْدِسِ
فنحن من النُّور في أسْعُدٍ ... وتلك من النَّارِ في أنْحُسِ

فقام ابن كُشاجِم فقبَّل الأرض بين يديه، وسأله أن يأذنَ له في إجازتها فأذن، فقال:

ولَيلتُنا هذه ليلةٌ ... تُشاكِلُ أشكالَ إقْليدِسِ
فيارَبَّةَ العود حُثِّي الغِنا ... ويا حامِلَ الكأسِ لا تَحْبِسِ

فخَلَع عليه وعلى الحاضرين، ووصَلَهم بِصِلات.

ومن شعر القرمطيّ أيضاً: [من الكامل]

يا ساكنَ البلدِ المُنِيْفِ تَعَزُّزاً ... بِقِلاعِه وحُصونه وكُهوفِهِ
لا عزَّ إلا للعزيز بنفسه ... وبخَيْله وبرَجْلِه وسيوفه
وبُقبَّةٍ بيضاءَ قد ضُرِبَت إلى ... جَنْبِ الخيامِ لجارِه وحَليفِه

قَرْمٌ إذا اشتَدَّ الوَغى أردى العِدا وشَفى النُّفوسَ بضَرْبه ووقوفه
لم يَرْضَ بالشَّرَفِ التَّليدِ لنفسه حتى أشادَ تَليدَه بطَريفه

وقال لما فُلَّ جيشُه بعَين شَمس بمصر: [من الوافر]

ولو أنِّي مَلَكْتُ زِمامَ أمري لما قَصَّرتُ في طلبِ النَّجاحِ
ولكني مَلَكْتُ فصار حالي كحالِ البُدْنِ في يوم الأضاحي
يُقَدْنَ إلى الرَّدى فيَمُتْنَ كُرْهاً ولو يَسْطِعْنَ طِرْنَ مع الرِّياحِ

وقال أيضاً: [من الطويل]

له مُقْلَةٌ صَحَّت ولكنْ جُفونُها مِراضٌ بها تُسبى العقولُ وتَتْلَفُ
وخَدٌّ كلَوْنِ الوَرْدِ يُجنى بأعيُني وقد عزَّ حتى إنه ليس يُقْطَفُ
وعَطْفَةُ صُدْغٍ لو تعلَّمَ عَطْفَها لكان على عُشَّاقِه يَتعَطَّفُ

وقال وكتب بها إلى جَعفر بن فَلاح والي دمشق قبل لقائه: [من البسيط]

الكُتْبُ مُعْذِرَةٌ والرُّسْلُ مُخْبِرَةٌ والحقُّ مُتَّبَعٌ والخيرُ مَوجودُ
والحَرْبُ ساكِنةٌ والخيلُ صافِنَةٌ والسِّلْمُ مُبْتَذَلٌ والظِّلُّ مَمْدودُ
وإن أَنَبْتُم فمَقْبولٌ إنابَتُكم وإن أَبَيْتُم فهذا الكُورُ مَشْدودُ
على ظُهورِ المَطايا أو يَرِدْنَ بنا دمشقَ والبابُ مَهْدومٌ ومَرْدودُ
إني امرؤٌ ليس من شأني ولا أَرَبي طَبلٌ يَرِنُّ ولا نايٌ ولا عُودُ
ولا اعتكافٌ على خَمرٍ ومَجْمَرَةٍ وذاتِ دَلٍّ لها دَلٌّ وتَفْنيدُ
ولا أَبيتُ بَطينَ البَطْنِ من شِبَعٍ ولي رَفيقٌ خَميصُ البَطْنِ مَجهودُ
ولا تسامَتْ بي الدُّنيا إلى طَمَعٍ يوماً ولا غَرَّني فيها المواعيدُ[1]

محمد بن إسحاق

ابن إبراهيم بن أَفْلَح بن رافِع بن إبراهيم بن أفلح بن عبد الرَّحمن بن عُبيد بن رِفاعَة، أبو الحسن، الأنصاريّ، الزُّرَقيّ.

(١) تاريخ دمشق ٤/ ٤٠٠ (مخطوط)، والسير ١٦/ ٢٧٤، وتاريخ الإسلام ٨/ ٢٠ ـ ٢١ و ٢٥٤.

كان نَقيبَ الأنصار ببغداد، عارفاً بأمورهم ومَناقِبهم، ومات ببغداد في جُمادى الآخرة، ودفن عند أبيه بمقبرة الأنصار، وكان ثقةً حَسنَ السِّيرة، وجدُّه رفاعة بن رافع شهد العَقَبَةَ وأُحُداً، وكان نقيبَ الأنصار رضي الله عنه[١].

[فصل وفيها توفي]

محمد بن الحسن بن أحمد

أبو الحسن، السَّرَّاج، البغداديّ.

كان زاهداً عابداً مجتهداً، صلّى حتى أُقْعِد، وبكى حتى عَمي، وتوفي يوم عاشوراء.

[سمع أبا شُعيب الحَرَّاني وغيره، وروى عنه محمد بن أبي الفَوارس وغيره،] وكان صالحاً ثقةً[٢].

[فصل وفيها توفي]

أبو عبد الله بن أحمد، المقرئ، الزَّاهد

[صحب يوسف بن الحسين الرازي وطبقته.

قال في «المناقب»:] كان من أعلى المشايخ هِمَّةً وأفتاهم.

[وحكى عنه أنه] قال: ما قَبِلتُ من أحدٍ شيئاً[٣] إلا رأيتُ له عليَّ مِنَّةً لا أقوم بها أبداً.

وَرِث من أبيه خمسين ألف دينار سوى الضِّياع، فأنفقها كلَّها على الفقراء.

وكان له أخٌ صالح يُكنى أبا القاسم، مات في سنة ثمان وسبعين وثلاث مئة [، وكان على منهاج أخيه في الزُّهد والوَرَع والعبادة.][٤]

(١) تاريخ بغداد ٢/ ٧٣، والمنتظم ١٤/ ٢٥٠. والتراجم الأربعة الأخيرة ليست في (ف م م١).

(٢) المنتظم ١٤/ ٢٥١، والسير ١٦/ ١٦١، وتاريخ الإسلام ٨/ ٢٥٩.

(٣) في طبقات الصوفية ٥١١، ومناقب الأبرار ٢/ ٢٢٢: ما قبل مني أحد شيئاً.

(٤) بعدها في (ف): والحمد لله وحده وصلى الله على أشرف خلقه محمد وآله وصحبه وسلم.